من أوراق الرئيس (21)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

كنا ندفع بالعملات الصعبة

نفقات قواتنا فى ليبيا......

يروى الرئيس السادات أنه تأثر كثيرا بشباب الثورة الليبية الجديدة.. ورأى فيهم استمرارا لثورة 52 وبديلا نشطا عن الذين بلغو الخمسين من الثوار المصريين الذين يجب أن يتقاعدوا – وهو واحد منهم.

ولكن بدأت معالم الثوار الليبيين تتضح وخصوصا القذافى، المجنون بنفسه عن أى شئ حوله، وبحماية نفسه ضد شعبه مستعينا بالقوات المصرية التى تتقاضى مرتباتهم ونفقاتها بالعملة الصعبة من مصر...

وفى اليوم التالى للثورة أرسل جمال عبد الناصر صحفيا كان يعمل مستشارا له. فأعطاه الانطباع الأول ولم ينس نفسه هو فى هذا الدور، الذى لا يزال مستمرا حتى اليوم. وبعد ذلك عندما ظهر فى ترحيبه بالمسيرة الليبية المخربة التى تعتبر "بروفة" لما حدث فى 18 و 19 يناير الماضى، وفى الإعجاب المتكرر بعبقرية القذافى وبأحقيته فى أن "يرث" مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر..

وقبل وفاة جمال عبد الناصر كان هناك آخرون يتوارثونه ويتفقون على ذلك.. فقد أدركوا خطورة مرضه. وانتهزوا هذه الفرصة لينقضوا على ثورة 52 وعلى قائدها المريض الذى انهزم والذى تلقى طعنة عنيفة فى قلبه بمأساة عبد الحكيم عامر.

كل ذلك يجرى من وراء الستار، بينما كان الرئيس السادات يرتاد مصر من أسوان إلى القاهرة والوجه البحرى يدفع الشبهات، ويبدد أوهام الناس ومخاوفهم، ويطلب إليهم أن يقفوا وراء الذى انهزم، كما وقفوا وراءه يوم انتصر ..

ومن الإنصاف أن أقول إن الرجل الطيب الملك السنوسى، لم يلق ما يستحقه من التقدير والامتنان. فالرجل – كما ذكرت – كان واردا ضمن ذلك "التصنيف الملعون".. أو كان ضمن المغضوب عليهم الضالين. فقد كان ملكا ولذلك كان رجعيا خائنا.. الخ.

ولكن عندما اتجه إليه جمال عبد الناصر قبل حرب يونيو يطلب ثمن الدبابات الذى حدده الروس دفع عشرة ملايين جنيه. على أن يدفع الباقى بعد ثلاثة شهور.

وقامت ثورة ليبيا قبل أن يدفع بقية المبلغ. وكان السوسنى مريضا يعالج فى اليونان.

ولكن السنوسى كان قد اتخذ موقفا قويا عربيا من ثورة الجزائر.

ومعروف دور مصر فى ثورة الجزائر. وما قدمته مصر للثورة الجزائرية.

فقد كان هناك طريقان لإيصال السلاح إلى الجزائر، إما بطريقة البحر، وإما عن طريق الصحراء عبر ليبيا. وهو الطريق الأضمن: خصوصا بعد أن ضبطت السفينة "أوتس" التى كانت تحمل أسلحة للجزائر قيمتها مليونان من الدولارات. فقد تسربت أخبارها قبل خروجا من الإسكندرية. وإن كانت سفن كثيرة قبلها. قد حملت السلاح ووصلت به سالمة آمنة على ثوار الجزائر.

ولذلك كان الطريق البرى أفضل. وفى ليبيا كانت هناك قاعدتان عسكريتان، واحدة إنجليزية اسمها قاعدة "العضم" بالقرب من طبرق ومن حدودنا. وقاعدة ثانية أمريكية اسمها "هويلس"، وهذه قريبة من طرالس.

ومعنى ذلك أنه فى لبيا على أيام الملك السنوسى توجد قاعدتان أجنبيتان كبيرتان. والقاعدتان تكدست فيهما الأسلحة الحديثة والجنود والطائرات. ثم إن ليبيا دولة صغيرة..

كما أن ليبيا نظاما يقرب من الحكم السويسرى إلى حد ما.. ففيها ثلاث ولايات: برقة وطرابلس وفزان.. وكل ولاية لها مجلس وزراء وبرلمان.. وهناك مجلس وزراء للولايات فى برقة..

هذه هى صورة الوضع فى ليبيا. ولكن لم يطلب جمال عبد الناصر من الملك السنوسى مرة واحدة أن يسمح بمرور المساعدات العسكرية إلى الجزائر، إلا وجد ترحيبا شديدا وموافقة فورا. ولذلك مرت أكثر المساعدات من ليبيا إلى الجزائر رغم وجود القوات الأجنبية على الأرض الليبية.. وبالرغم من أن بريطانيا وأمريكا عضوان فى حلف الأطلنطى مع فرنسا التى يحاربها الجزائريون.

وأكثر من ذلك أن جمال عبد الناصر طلب تخزين الأسلحة على الحدود الليبية الجزائرية جنوب تونس، لكى تتمكن القوات الثورية فى الجزائر من الحصول على العتاد فى الوقت الذى تشاء، ووافق الملك السنوسى.

وهذه المواقف التى اتخذها الملك من المعونة المالية قبل النكسة، وموقفه فى الخرطوم بعد النكسة، وموقفه من الدعم العسكرى لثورة الجزائر إذا ما قورنت بموقف القذافى من جمال عبد الناصر ومن مصر بعد ذلك.. تعطينا صورة بارزة لهذين النوعين من الرجال..

وجمال عبد الناصر نفسه قد أدرك بوضوح شذوذا فى شخصية القذافى. ولم ينس جمال عبد الناصر لمعمر القذافى. وعلى مادة المفاوضات فى قصر القبة أنه استخدم كلمة "صدقة" عندما وصف الموقف الكريم الذى اتخذه الملك السنوسى. ولم أكن حاضرا هذا الاجتماع. وإنما الذى حدث أن جمال عبد الناصر ثار وأقفل الأوراق أمامه. وخرج من القاعة. وبعد ذلك روى لى هذه القصة، لأنه كان من الضرورى أن يحكى لى ذلك. فتلك عادته معى، ولأننى أول مسئول مصرى يلتقى بالذين قاموا بثورة ليبيا.

كان ذلك فى سبتمبر سنة 1969 وقد تقرر عقد مؤتمر إسلامى فى الرباط بمناسبة إحراق اليهود للمسجد الأقصى قبل ذلك بشهر. وكان من المفروض أن يحضره جمال عبد الناصر، لولا أنه أصيب بأزمة قلبية أودت بحياته بعد ذلك بسنة تماما.

وفى ذلك الوقت أخبرنى الأطباء أن جمال عبد الناصر يجب أن يمتنع عن الخروج وعن السفر. وأكثر من ذلك أن الأطباء حرموا عليه التدخين. وعلى أى إنسان آخر فى أى مكان يكون موجودا فيه.. وقد منعت التدخين فى كل اجتماعاتنا دون أن يعلم ذلك..

وكان من المستحيل أن يحضر مؤتمر القمة الإسلامى. ولذلك سافرت أنا بدلا منه. ولم أكن فى ذلك الوقت نائبا لرئيس الجمهورية. وإنما كنت الشخص التالى فى الأقدمية. وكانت هذه هى عادتنا. وليس فى ذلك اعتداء على حق أحد.

وذهبت لحضور المؤتمر فى الرباط. وقد حضره أيضا الملك فيصل وشاه إيران والملك حسين. واستقبلنى الملك الحسن كرؤساء الدول تماما، بمنتهى الحفاوة والتكريم .

وفى طريق عودتى نزلت بمطار طرابلس.

ولأول مرة يلتقى مسئول مصرى "بالجماعة" التى قامت بثورة ليبيا.

وقابلت معمر القذافى فى مطار طرابلس مساء. وتعشيت فى المطار أيضا. وركبت الطائرة التى نزلت بنا مرة أخرى فى بنى غازى، فقد كان معنا بعض الوزراء الليبيين. وكان القذافى قد طلب منى أن آخذهم معى فى طريقى. ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن مصطفى الخروبى هو المسئول عن بنى غازى. وصعد الخروبى الطائرة وطلب منى أن أنزل. وقال مداعبا: بالأمر!.

وكان شابا لطيفا، وهو واحد من الأبعة الباقين مع القذافى. وكان ذلك أول لقاء رسمى بين مسئول مصرى وبين هؤلاء "الصغار".

ولكن أعترف بأننى تأثرت بمنظر هؤلاء الشبان الصغار. ولم نكن نعرف عنهم شيئا. ولا نعرف أسماءهم. ولا كيف قاموا. ولا كيف تجمعوا. ولا كيف ثاروا.

وقد بلغ من تأثرى الشديد بمنظر هؤلاء "الصغار" أن قلت لجمال عبد الناصر عند عودتى:

يا جمال لقد كبرنا فى السن جميعا. وأنت طلبتك الجماهير يومى 9و 10 . ومن الأفضل أن تقبل استقالتنا. وقد سبق أن قلت لك ذلك وأنت رفضت. أما الآن فقد جاءت الفرصة المناسبة. ولهذا أقترح عليك أن تبعث فى طلب اثنين من هؤلاء الشبان، ويظهر أن عددهم كبير ما شاء الله. فلم أر منهم سوى القذافى وجلود فى طرابلس والخروبى فى بنى غازى.. هات اثنين منهم وهم جميعا فى العشرينات ونحن فى الخمسينات، ثم عليك أن تدربهم تدريبا جيدا، لأنهم شباب ثورة يوليو.. وما يزال أمامهم ثلاثون أو أربعون عاما أخرى.

وقد روى لهم جمال عبد الناصر هذه القصة. وروى لهم مدى تحمسى لهم وتفاؤلى بمستقبلهم. ولذلك عندما قال القذافى كلمته الجارحة النابية فى سراى القبة اتصل بى جمال عبد الناصر فورا ليروى ما الذى قاله واحد من الناس الذين رأيت فيهم امتدادا لثورة يوليو.. كان جمال عبد الناصر يريد أن يبين لى أننى أسرفت فى حسن الظن بهم، أو بالغت فى التفاؤل.

وطلبت إلى جمال عبد الناصر أن يصبر عليهم.. فهم فى أول الطريق. وهم بلا تجارب وسوف يعلمهم الزمن ما علمنا من حسن التعبير، والقدرة على مواجهة الأحداث، ومعرفة أقدار الرجال.. وإنهم ما يزالون شبابا. وقد رأيت فيهم أملنا ومستقبلنا. وإنهم سوف يحملون الراية من بعدنا.

وسألته أيضا: هل نسيت ماذا حدث عندما قامت ثورة ليبيا؟ هل نسيت ما الذى فعلوه؟ وما الذى انتظروه منك أنت بالذات ومن مصر بعد ذلك؟

وقد هدأت نفس جمال عبد الناصر. وكان ذلك مجرد هدوء. ولن أعرف أن جال عبد الناصر لم ينس ما حدث فى قصر القبة. ولم ينس كلمة قفزت من طرف مائدة الاجتماعات فكانت خنجرا أصاب القائد الذى انكسر فى يونيو. وكان شديد الحساسية لكل كلمة وكل نقد. وكان التعامل معه صعبا جدا بعد النكسة. وكان مرهقا مريضا. إلى جانب أن جمال عبد الناصر شديد التشكك بطبعه. وأنه مشدود الأعصاب فى كل الظروف.. وكان بعد النكسة فى أشد حالاته. وكان احتماله قليلا، وصبره على الناس ضئيلاً..

ولكنه – على كل حال – ابتلع هذه الإهانة..

ورغم أنى حاولت أن أذكره بقيام الثورة الليبية فى ساعاتها الأولى، لعلى أنبهه الى أنهم صغار، وأنه هو الأكبر. ولكن جمال عبد الناصر كان قد فاض به.

فى يوم أول سبتمبر 1969 كان هناك اجتماع مصرى آردنى فى سراى القبة. وكنت فى الوفد المصرى لأننى أنا الثانى بعد جمال عبد الناصر منذ سنة 1968. وفى الساعة الحادية عشرة والنصف دخلت ورقة صغيرة. فقطع جمال عبد الناصر حديثه مع الملك حسين ليقول: إن ليبيا تذيع مارشات عسكرية فقط!

ثم مضى فى مباحثاته مع الملك حسين.

وبعد فترة قصيرة دخلت ورقة أخرى تقول: إن فى ليبيا انقلاباً.

وانتهت المباحثات. وعاد كل منا إلى بيته. الملك حسين كان ينزل فى قصر القبة. وجمال عبد الناصر عاد إلى بيته فى منشية البكرى. واتجهت إلى بيتى فى الهرم.

وانشغلنا بالانقلاب الليبى. ولم تكن لدينا وسيلة لنعرف نوعية الانقلاب. وكل ما لدينا من معلومات تقول إنه ربما قام بهذا الانقلاب واحد من القريبين من الملك. وإن هذا الانقلاب أمركى أو دبرته المخابرات الأمريكية. فلا توجد عندنا أية معلومات محددة أو واضحة.

وبعد الظهر اتصل بى جمال عبد الناصر تليفونياً يقول لى: يا أنور.. الأولاد الذين قاموا بالثورة اتصلوا بسفارتنا ثلاث مرات.. وفى كل مرة يبعثون اثنين منهم. ويطلبون أن نعترف بهم.

أى كان المطلوب أن تعترف بهم "الجمهورية العربية المتحدة" – وكان هذا هو اسم مصر فى ذلك الوقت.

ويبدو أن سفيرنا لم يكن موجودا. وكان هناك دبلوماسى أصغر. وحاول هذا الدبلوماسى أن يسألهم عن أسمائهم. فرفضوا.

وقالوا: مطلوب أن تعترف بنا الجمهورية العربية المتحدة..

ثم عاد اثنان آخران. فسألهم الدبلوماسى عن أسمائهم فرفضوا. وطلبوا الاعتراف العاجل بثورتهم.

وجاء اثنان آخران للمرة الثالثة. لا يريدون ذكر أسمائهم وإنما يتعجلون الاعتراف بهم لأن فى هذا الاعتراف مساندة للثورة – على حد تعبيرهم. وكان ذلك ى الساعة التاسعة مساء.

واتصل بى جمال عبد الناصر فى المرات الثلاث، وفى آخر مرة قال لى: ما داموا حريصين على كتمان أسمائهم، ولكنهم فى نفس الوقت حريصون على اعتراف الجمهورية العربية المتحدة. فمن الحكمة ألا نتخلى عنهم.

ووافقته على ذلك.

واستدعى جمال عبد الناصر سكرتيره سامى شرف وأملى عليه برقية لسفارتنا فى طرابلس يقول فيها لهؤلاء الأولاد أن يتصرفوا كأن الجمهورية العربية المتحدة قد اعترفت بهم. وسوف نعلن الاعتراف بهم غدا. وأن يتأكدوا من أننا نقف وراءهم وسوف نساندهم ضد أى تدخل..

وكان جمال عبد الناصر حريصا على أن يعرف من هؤلاء الأولاد؟ وما هو الوجه الحقيقى لهم؟ وما هو المنطلق الذى خرجوا منه؟ وإلى أى مدى هم امتداد ونتيجة لثورة يوليو؟ ثم إن هذه الثورة الليبية قد قامت بعد نكسة 67، أى على الرغم من الهزيمة العنيفة لمصر، فهناك من يرى أنها ليست هزيمة وإنما هى "عثرة".. وأنه يمكن الثقة بقائدها وزعيمها.. ومعان أخرى كثيرة تضاربت وتداخلت وجعلت جمال عبد الناصر يتلهف على معرفة حقيقة هؤلاء الأولاد فى ليبيا.. خوفا من أن يكونوا واجهة مزورة لإحدى القوى الكبرى..

وعند منتصف الليل تلقى جمال عبد الناصر ورقة تقول له: إن ليبيا أذاعت أن مصر قد اعترفت بها.

واتصل بى جمال عبد الناصر وقال: إن الأولاد أعلنوا أننا اعترفنا بهم.. ليس أمامى إلا أن نذيع فى الساعة الواحدة أنا اعترفنا بهم.

وكان هؤلاء الأولاد فى حاجة إلى أن تساندهم مصر. وبسرعة استغلوا الموقف.وتصرفوا كأننا اعترفنا بهم. وأذاعوا ذلك ووضعونا أمام الأمر الواقع..

وفى اليوم التالى بدأت ترد إلينا الأنباء متناثرة ومتضاربة أيضا..

مرة يقال إن سعد الدين بشويرب هو الذى قام بالانقلاب.. ومرة أسماء أخرى. فلم تكن الصورة واضحة تماماً..

وأرسل جمال عبد الناصر من يأتى له بالأنباء. واتصل بهم. ولا يزال منذ ذلك الوقت "مستشارهم".

وأول مشكلة واجهت الأولاد فى ليبيا هى: مشكلة اعتراف الدول الكبرى بهم.. ومن بين هذه الدول من تعمل على استخراج البترول فى الصحراء الليبية.. وبترول ليبيا أقرب إلى أوروبا من بترول الخليج. وفى نفس الوقت كان الفنيون يقدرون أن بترول ليبيا سوف يكون الينبوع البكر لطاقة كبيرة جنوبى أوروبا..

وفى ليبيا قاعدة "العضم" البريطانية، وقاعدة "هويلس" الأمريكية.. وجاء هؤلاء الشبان لا يعرفون ما الذى يمكن أن يفعلوه ليحصلوا على مزيد من المساندة الدولية بعد أن حصلوا على اعتراف مر فى ذلك الوقت. وكان الاعتراف المصرى أكبر سند لهم. ثم إنهم يتعجلون الاعتراف والمساندة.. ومن المعروف أن الدول الأوروبية لا تسارع عادة بالاعتراف قبل أن تفهم وقبل أن تحسب حساباتها جيداً. وخصوصا أن وجه الثورة الليبية لم ينكشف لأحد بعد، ولا حتى لمصر.. ومن المألوف فى مثل هذه المواقف الطارئة المفاجئة أن تنتظر الدول الكبرى حتى تحصل على "امتيازات" أو على ثمن لهذا الاعتراف.. فالسياسة بيع وشراء. وهذه قاعدة قديمة مستمرة.

ثم إن هذا هو الامتحان الأول لهذه الثورة الجديدة.. ونشرت الصحف عندنا أخبار الانقلاب واعتراف مصر بذلك.

ولكن الدول الكبرى والدول الغربية كلها ترددت وراوغت واستغلت الوقت فى الدراسة ومحاولة معرفة ما الذى جرى فى طرابلس وأسرار الاتصالات التى تمت بين القاهرة وطرابلس..

وتناقشت مع جمال عبد الناصر فى هذا الموقف طويلا. وكانت أخبار هؤلاء الشبان تتوالى وقلقهم يتضاعف. وأخيرا أرسلوا يطلبون من جمال عبد الناصر أن يدلهم على مخرج من هذا المأزق الذى صنعته الدول الكبرى كلها: فلا هى تعترف ولا هى ترفض الاعتراف.

فاهتدى جمال عبد الناصر إلى حيلة، وعندما لقيهم قال لهم: اسمعوا يا أولاد انشروا غدا فى الصحف بيانا تعلنون فيه أن الدول التى لا تريد الاعتراف بالثورة تنقل سفاراتا وتسحب رعاياها فورا. وأن كل دولة تترك سفارتها ورعايها فى طرابلس كان معنى ذلك أنها معترفة بالنظام الجديد فى ليبيا.. ونحن لا نريد أى إعلان رسمى بذلك. وإنما يكفينا هذا الوضع!.

وفى اليوم التالى نشروا هذا البيان فى الصحف يؤكدون أنهم ليسوا فى حاجة إلى اعتراف رسمى مكتوب..

ونجحت هذه الحيلة الذكية. فلم تسحب لا أمريكا ولا بريطانيا سفارتها. وأصبح ذلك اعترافا رسميا. توالت بعده الاعترافات.

وفى هذه الأثناء بدأت ملامح القذافى تتكشف لنا. وكل يوم تتضح أكثر.

ولا أدعى أننى قد لاحظت شيئا من ذلك فى البداية. وإنما عرفت ذلك متأخرا جدا. فالقذافى مشغول بذاته جدا. وهذا يعرفه الذين حوله وينفخون فيه هذا المعنى ويدخلون إليه من هذا الباب السرى المظلم. ولذلك كان أول شئ طلبه ن مصر أن تبعث إليه بقوات لحماية الثورة.. أو حمايته هو أولا والثورة ثنايا. ولم يكن هذا المعنى واضحا فى البداية.. كما هو واضح الآن فى كل تصرفاته. فكل شئ مسخر من أجل حمايته والدفاع عنه بأى ثمن. والثمن الذى دفع، ويدفعه الشعب الليبى، من أجل ذلك فادح.

واستجاب جمال عبد الناصر إلى طلب القذافى فأرسل له قوات خاصة من الصاعقة والمظلات. وأرسل إليهم مدربين لتعليم القوات الليبية الصغيرة على استخدام السلاح.

وكانت لهؤلاء الأولاد مخاوف أخرى سمعتها منهم عندما قابلتهم فى طرابلس. فهم كانواخائفين من أن يقع عليهم غزو أوعدوان من البحر.. لأن حدودهم جميعا أمونة.. فلا خوف من مصر ولا من تونس ولا من الجزائر.. ثم إن السودان الذى قامت فيه ثورة النميرى فى 25 مايو سنة 1969 لا خوف منه. وإنما الخوف كله من البحر. وقد رويت لجمال عبد الناصر كل هذه المخاوف عند عودتى من مؤتمر الرباط. ولذلك أهدتهم مصر قطعة بحرية.

وللأسف، فإن الناس فى العالم العربى والعالم، لا يعرفون أن مصر كانت تتكفل بنفقات كل قواتنا المسلحة فى ليبيا، إلى ما بعد وفاة جمال عبد الناصر بسنة كاملة وقد

بلغت هذه النفقات سبعة ملايين جنيه من العملات الصعبة. ولم نطلبها حتى اليوم. ولم نمن على ليبيا بأننا ساعدناها، ولا بأننا أنفقنا على قواتنا هناك الكثير جداً، من العملاءت الصعبة جدا، ولا أننا كنا ندفع لقواتنا بالعملة المصرية فى القاهرة أيضا. فى نفس الوقت الذى يمن فيه علينا و"يعايرنا" القذافى بما دفعه بل يقول إن ليبيا قدمت "الصابون" إلى مصر!

إنه لا يدرى معانى هذه الكلمات، لأنه رجل مختل ولأنه شاذ يجرح كرامة شعب جريح دون أن يدرى بشاعة هذه الكلمات!.

إن كلمة كهذه قيلت فى إحدى جلسات مجلس العموم البريطانى وكانت صدمة عنيفة. فقد أفلتت كلمة من رئيس الوزراء البريطانية وكان زعيما لحزب المحافظين فضج المجلس واعتذر رئيس الوزراء عن الإهانة البالغة فقد سأله عضو من حزب العمال: وما الذى قدمته حكومة المحافظين للشعب؟

قال رئيس الوزراء: الكثير مما يذكره الذين يقدرون الظروف الصعة التى تعيشها الإمبراطورية.

وقال الضعور: عرفنا ذلك. ولكن ما الذى قدمتوه؟

فقال رئيس الوزراء: كل ما تستطيعه حكومتى وعجزت عنه حكومتك!

وعاد العضو يقول: إن مثل هذه العبارات الجافة لا يليق بك أن تقولها. ولا أحترم نفسى إذا سمعتها ولم أبصق عليها.. إننى أسألك بصراحة وانتظر ردا شجاعا إن كان لديك شئ من ذلك.. إن السلع غالية الثمن. فأرجوك أن تدلنى على سلعة واحدة خفضتم سعرها. سلعة واحدة!

فقال رئيس الوزراء: الصابون!

وثار المجلس على الطريقة التى نطق بها رئيس الوزراء هذه الكلمة! فقد ان يقصد أن عمال الفحم يحتاجون إلى النظافة، ولذلك وفر لهم الصابون!

واعتذر رئيس الوزراء والحزب عن كلمة جارحة لا تليق. ولكن هذا يحدث فى بلاد أخرى ومن طراز آخر من الناس. فإذا خرجت الكلمة عن الخط المرسوم لها أدبا ثار الناس.

وبعد وفاة جمال عبد الناصر سافرت إلى ليبيا وكان معى محمد فوزى وزير الحربية فى ذلك الوقت. وقلت للقذافى فى طبرق: يؤسفنى أن أقرر أننا لا نستطيع أن ندفع لقواتنا المسلحة الموجودة فى ليبيا وبالعملة الصعبة التى تحتاج إليها مصر، فى ظروفها الصعبة. فإما أن تدفعوا لها أنتم، وإما أن نعيدها إلى مصر.

وأبدى القذافى أسفه على هذا الوضع ووعد بالكثير وكعادته لم يف بما وعد. والأمثلة على ذلك لا تحصى، وسوف تجئ فى موضعها من هذه "الأوراق".

وكان العقيد فى ذلك الوقت سعيدا بوجود القوات المصرية وتدريباتها للقوات الليبية الصغيرة العدد المسلحة تسليحا عادياً.

وفى ديسمبر سنة 1969 التقى جمال عبد الناصر بهؤلاء الأولاد. وكانت صحته قد تحسنت من الأزمة القلبية التى أصابته. ولم نعلن عن هذا المرض. وقلنا أنفلونزا.

وكان جمال عبد الناصر يكره أن يقال إنه مريض.. ولكن الأمريكان هم أول من اكتشف حقيقة مرض عبد الناصر. فقد جاءت أنباء تقول إن القائم برعاية مصالح الأمريكان فى سفارة أسبانيا قد حسبها. وجد أن الفترة ما بين مرض جمال عبد الناصر والإعلان عن تحسن صحته حوالى ستة أسابيع. واستنتج من ذلك أنه لابد أن تكون إصابته أزمة قلبية.

وفى 20 ديسمبر تحدد موعد انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الرباط. وكان جمال عبد الناصر حريصا على السفر دفعا للشائعات التى تقول إنه مريض جدا. وفى نفس الوقت كانت مراكز القوى تعمل بنشاط لوراثة جمال عبد الناصر، وإعداد خليفة جمال عبد الناصر. و بدأوا يهاجمون ثورة 52 التى أدت إلى النكسة الرهيبة.. وبدأوا

يهاجمون جمال عبد الناصر شخصيا. ويستغلون حالته النفسية ومرضه. وبدأوا يرتبون أنفسهم من وراء ظهره. ويتكتلون ويتربصون بعضهم ببعض.

وكان المطلوب فى ذلك الوقت أن يحصل فى مصر شئ من البلبة والتفكك. وما دامت الدنيا قد خربت فلابد لكل إنسان أن يبحث له عن سفينة نجاة مصرية أو ليبية. ويقفز من هذه السفينة إلى حكم مصر وبسرعة، لأن جمال عبد الناصر مرضه خطير. وأنه سوف يموت قريبا.

وكان لابد أن نواجه هذه الشائعات وأن نطمئن الناس على صحة جمال عبد الناصر، وعلى سلامة الثورة ومنجزاتها.. وأن نعطى لجمال عبد الناصر الفرصة لكى يفكر ويدبر ويستعد من جديد للمعركة لأن الحرب لم تنته. والعدو على أرضنا. وكما وقفنا وراء جمال عبد الناصر منتصرا، يجب أن نقف وراءه منهزما، لننتصر به من جديد. فالشعوب لا تقتلها هزيمة فى موقعة. وما حدث ليس إلا هزيمة فى موقعة فى معركة طويلة.

وهذا ما قلته فى عدد من الندوات الشعبية من أقصى جنوب مصر إلى شمالها.. وكنت فى ذلك أواجه الناس. وأرد على أسئلتهم. على كل أسئلتهم. لأن الموقف كان يقتضى هذه التعبئة المعنوية. والمساندة لجمال عبد الناصر ورفعاً لمعنوياته، وكنت أعلم جيدا ما الذى يعانيه وما الذى يفكر فيه.. وأعرف الحساسية الشديدة جدا التى أصابته من كل شئ ومن كل أحد، فبعد النكسة وبعد مأساة صديق عمره عبد الحكيم عامر، وبعد الاستقالات المختلفة، وبعد إصابته بأزمة قلبية عنيفة كان جمال عبد الناصر فى حالة نفسية أليمة..

ولكنى فى ذلك الوقت لم أكن أدرى بوضوح ما الذى يجرى وراءه ولا أدرى بمراكز القوى المتضاربة حوله.. حتى فوجئت وأنا أتحدث إلى الجماهير فى أسيوط بأحد المواطنين يسألنى سؤالا غريبا عجيبا. واندهش الناس ، وعرفنا فى نفس اليوم أنه

مواطن من الجيزة وأنه موفد من قبل أمين الاتحاد الاشتراكى، أحد مراكز القوى فيما بعد وأحد المحكوم عليهم بالإعدام. ولم يكن للسؤال سوى هدف واحد : أنا!.